

التواصل اللغوي ووظائف عملية الاتصال في ضوء اللسانيات الحديثة

د. فاطمة الزهراء صادق

جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)

الملخص

الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، يعيش داخل مجتمعات أو تجمعات، فهو إذن بحاجة إلى غيره ليتعامل معه من أجل التفاهم ونقل المعلومات. وخدمة لهذه الغاية، أوجد الإنسان لنفسه وسائل متنوعة، وكانت "اللغة" الوسيلة المثلى والأكثر فعالية في التواصل والإبلاغ. حاجة الإنسان إلى التواصل كما يسمى في عرف القدامى أو الاتصال كما يعبر عنه في المصطلح الحديث هي التي أوجدت اللغة البشرية وانتقلت بها من طور إلى طور إلى أن بلغت المستوى الذي عليه اليوم. الكلمات المفتاحية: اللغة، التواصل، الاتصال، المجتمع.

Abstract

Human nature a social creature, living in communities or communities, he needs permission to others to deal with him for understanding and transfer of information. And service to the end, created man for himself various means, and the "language" the best way and the most effective in communicating and reporting.

Human need to communicate as it is called in the eyes of veterans or contact as expressed in modern terminology are created human language and moved out of the process to the process that reached a level that it is today.

Keywords: language, communication, communication, community

1- التواصل اللغوي عناصره ونماذجه :

تعتبر اللغة وسيلة اتصال وتفاهم لما يخدم العملية الاتصالية، ينفرد بها الإنسان دون غيره من المخلوقات كونها من أبرز الوسائل التي يستعملها الإنسان للتعبير عن خبراته ومشاعره وآراءه تتجلى الوظيفة الأساسية للغة في "الاتصال" **communication** فهي من أكثر الوسائل المتاحة استعمالاً لهذه الوظيفة.

ومن هنا كان التواصل عنصراً بالغ الأهمية في الحياة الإنسانية، فالحياة ذاتها تواصل مستمر والتواصل هو "فعل حضاري ضروري لدى الشعوب والمجتمعات".¹

1.1 مفهوم التواصل:

نجد في اللغة العربية الإشارة إلى هذا المفهوم بمصطلحين، هما المصدران: "التواصل" على وزن تفاعل، من الفعل تواصل على صيغة تفاعل، والاتصال" على وزن افتعال، من الفعل اتصل على صيغة افتعل. وقد اشتهرت الصيغة الأولى في أربعة معان، من بينها: التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى؛ ومن أمثلته التي يتحقق خلالها: التواصل، والتعاون، والتشاور. ومن المعاني الأخرى: التظاهر بالفعل دون حقيقته، كتناوَم وتغافل.⁽²⁾

¹ أحمد عزوز: "التبليغ المعرفي و البيداغوجية"، مجلة اللغة و الاتصال، وهران، ع1، 2005، ص 40.

وأما الصيغة الثانية: فقد⁽¹⁾ اشتهرت في ستة معانٍ من بينها: الاتخاذ، كاختتم زيد، واختمت: اتخذ له خاتماً، وخادماً. ومعنى الاجتهاد والطلب، كاكْتَسَب، واكتتب، أي اجتهد وطلب الكسب والكتابة. ومن معانيها: التشارك، كاختصم زيد وعمرو: اختلفا.⁽²⁾

والتواصل في معناه الأوسع، مصطلح يشير إلى كل أنواع النقل المتبادل للمعلومات باستعمال العلامات signs والرموز symbols، فيما بين الكائنات الحية (الإنسان، والحيوان) وبين البشر وآلات معالجة البيانات data-processing machines. وفي معناه الضيق - المعنى اللساني - التواصل هو التفاهم الذي يحصل بين البشر، عن طريق الوسائل اللغوية، والغير لغوية، مثل: حركات أعضاء الجسم gestures، والإيماءات mimicry ونغمات الصوت voice (التواصل الغير لغوي⁽³⁾ non-verbal communication).

والصورة التي يمكن أن نجمعها عن التواصل، تدعوا فاعل الاتصال communicator إلى أن يكون تمثيلاً داخلياً internal representation عن العالم الخارجي؛ ومن ثمّ ينجز سلوكاً رمزياً ما symbolic behaviour، يعبر عن محتوى هذا التمثيل. والمستقبل يجب عليه أولاً أن يتلقى هذا السلوك الرمزي، أي يقوم ببناء تمثيله الداخلي؛ ومن ثم يرجع لأن يكون تمثيلاً داخلياً في الحالة التي يكون عليها معنى، وتعتمد هذه الخطوة الأخيرة، على مدى التمكن من الأعراف الاعتباطية arbitrary conventions التي تحكم تفسير السلوك الرمزي.⁽⁴⁾

وهناك مفاهيم محدّدة لها صلة بالبحث في أنظمة الاتصال عموماً، سواء أكانت تلك الأنظمة خاصة بالإنسان أم كانت خاصة بغيره، وسواء ما كان طبيعياً منها، وما كان مُصطنعاً. فتنقل الإشارة signal من مُرسل إلى مُتلَق (أو مجموعة من المتلقين) عبر وسيلة للاتصال channel. كما تتميز الإشارة بشكل خاص form وتؤدي معنى خاصاً أو رسالة. أما العلاقة بين الإشارة ومعناها فتقوم على ما يشار إليه في علم الإشارات، "بالرسالة الرمزية" code؛ أي أن الرسالة يرمزها المرسل ويحلّ رموزها المتلقي.⁽⁵⁾ وهذا العنصر الأخير قد يرد في ترجمات عربية أخرى، بالسنن تارة والقواعد⁽⁶⁾ تارة أخرى؛ وذلك لأن تحليل هذا المفهوم، يحيل إلى عنصرين أساسيين لأي سنن تواصلية، هما: قائمة العلامات inventory of signs وقواعد التركيب⁽⁷⁾ combination rules، وأما الوسيلة فالشائع في مقابلاتها العربية مصطلح "القناة".

1-2- التواصل اللغوي عند "دوسوسير"

يزعم "غريماس" أن نظرية التبليغ إنما جاءت على غرار نظرية الإعلام، كان يرى أن هذه النظرية شديدة الميكانيكية من حيث كونها في أصلها نظرية لسانية لم تكن تعن إلا بالشبكة المظهرية الرابطة بين المرسل والمتلقي أو ما بينهما، أي الرسالة التي تحوي علاقة بينهما من متعارفات لدلالة الوضعية كالسياق الدال واللغة المستعملة بين الطرفين.

إن هذه النظرية لم تستطع تجاوز العلاقة الميكانيكية التي تحدث بين متخاطبين اثنين ولم تجاوز ذلك إلى الخطاب الأدبي من حيث هو شبكة معقدة من النصوص بحيث يستحيل في الوقت الراهن فك كل ألغازها وتحليل كل أبعادها وتفسير كل رموزها إلا تحت إجراء التأويلية يطلق عليها نظرية الاتصال.

اهتم اللسانيون المحدثون بأشكال التواصل اللغوي هذا ما نستنبطه في كتاب العام الغربي السويسري دي

سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" عام 1916، عندما تحدث عن كيفية حدوث التخاطب اللساني، ورأى أن اللغة نسق من العلامات والإشارات هدفها التواصل وتحتاج العملية التبليغية أو التواصلية إلى باث وملتقي وقناة لتبليغ أو نقل المرسل اللغوية، فهي عملية عقلية كما عبر عنها أثناء إتحاد الدال بالمدلول، أو عند تقاطع الصورة السمعية مع التصور أو المفهوم الذهني.

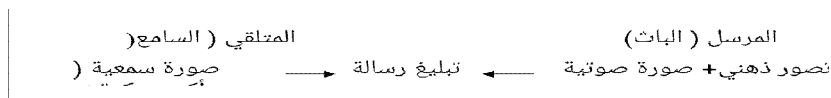
اقترح العالم الغربي السويسري "دي سوسير" تصور مخطط بياني لهذه العلاقة الثنائية التي تنهض على تصور أن (أ) يبث رسالته إل (ب) عن طريق تسرب الهواء من الحنجرة إلى الفم مدويا صوتا أو رسالة صوتية تعبر عما يختزن في الدماغ، فتبلغ رسالته بواسطة الصورة الأوكستيقية السمعية التي تلتقطها أذن الملتقي التي تحولها إلى دماغه لكي يفك شفرتها، و العكس صحيح إذا أراد الملتقي (ب) أن يجيب سيتكرر الأمر و لكن من قبل (ب): ينطلق الصوت من الحنجرة (ب) لينتهي إلى أذن (أ) فتتحول الرسالة إلى دماغه "الباث" فك غموضها وفهم الفكرة التي يريد توصيلها الملتقي إلى الباث.

تنهض نظرية "دو سوسير" على نزعة اجتماعية، ذلك معروف بين الناس حيث كان يرى أن التبليغ ضربا من الحدث الاجتماعي الملاحظ في فعل الكلام، كما تقوم نظريته على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث وملتقي) لأداء فعل الكلام.

من الواضح أن هناك جهاز ذكائي وميكانيكي يتمثل في الملكة اللغوية التي ملكها الله سبحانه وتعالى على كافة البشر جمعاء يتميز بها الإنسان عما سواه من الكائنات الحية، يعد منبع التواصل القائم بين طرفين اثنين فهناك: الدماغ: وهو الذي يبث الفكرة أو التصور الذهني إلى الحنجرة أمرا إياها بالنطق، واختيار الألفاظ والكلمات المناسبة لها، وهكذا يكون الطرف الأول مركبا من جهاز معقد هو:

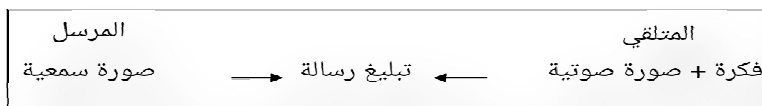
1. الدماغ الذي يفكر في تصور الفكرة لتشكيل رسالة.
2. أهمية أعضاء النطق (الحنجرة، اللسان، الفم) وما له صلة بهما، فهي قادرة على نقل المعاني المجردة عبر الموجات الصوتية.

بيد أن الطرف الثاني (الملتقي) يكون مزود بجهاز السمع (الصورة الأوكستيقية) لالتقاط وإدراك الرسالة، لكن وإن شاء الحوار فإنه سيصنع بنفسه جهاز أو نظام يجعله يعبر عما يختلج في ذهنه من تصورات مجردة يبث عن طريقها النطق لتبلغ أذن السامع (المرسل، الباث). ويمكن حصر هذه العملية التواصلية في المخطط الآتي:



أما في حالة إجابة الملتقي على الرسالة التي تلقاها من المرسل:

المُرسلَة



من سمات طرفي التواصل:

المرسل	الملتقي
1-نطق صورة صوتية	الصورة السمعية
2-تصور ذهني	الصورة السمعية+ تصور ذهني
3-الصورة السمعية	صورة صوتية

وكان النفساني "يوهلمر" يذهب إلى أن النشاط السنياتي يتحدد بوظائفه الثلاث المتمثلة في:

1. التعبير من حيث هو باث.

2. النداء من حيث مبنوث له إسماع المتلقي

3. استحضر الرسالة بما فيه من طبيعة الإحالة على المرجع أو السياق.

يذهب مجموعة اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل كـفرد يناندو دو سوسير الذي يرى، في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" 1916، أن اللغة نظام من العلامات والإشارات هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنويماً أو تقاطع الصورة السمعية مع التصور الذهني، وهو نفس المفهوم الذي كان يرمي إليه تقريباً "ابن حسن" في كتابه "الخصائص" عندما عرّف اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، أي أن اللغة ما هي إلا أصوات يصدرها المتكلم أو المتحدث ليعبر عن مقاصده وأفكاره. وبالسماح نستدرك نوايا المتكلم ونحاول فك رموز لغته المسموعة كي نتواصل معه السماع في تثبيت وترسيخ الفكرة في الأذهان.

تعلم أي لغة يكون بالسماع والقياس على لغتنا التي تتحدد بقواعد معيارية تستند إلى العقل والمنطق، يفاص عليها الكلام عند سماعه من أجل فصاحة وبلاغته وسلامته من الأخطاء اللغوية.

ويعرّف "أندريه لامارتينييه" اللغة بأنها عبارة عن تمفصل مزدوج وظيفتها التواصل، ويعني أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول هو المونيمات (الكلمات)، وبدورها تنقسم إلى فونيمات (أصوات) ومورفيمات (مقاطع صرفية)، و هي تشكل التامفصل الثاني. لكن الأصوات هي أصغر الوحدات اللغوية غير دالة بمفردها لا يمكن تقسيمها إلى وحدات صغرى لأن الصوت بدوره يتكوّن من مقطع (صائت+ صامت) لا يتجزأ.

وإذا جمعنا الفونيمات بعضها البعض تكونت مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات تكونت جمل، والجمل تكون فقرات، والمتواليات، والفقرات تكون النص، وهذا ما يسمى باللغة التي من أهدافها الأساسية التواصل.

إن عملية التواصل الإنساني تتم عبر أكثر من مرحلة:

المرحلة الرئيسية الأولى: مرحلة تكوين الرسالة في الذهن وإطلاقها أصوات بوظائف فيزيولوجية، يختص بها المتكلم. والمرحلة الثانية: تتجسد في العملية الفيزيائية التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع ثم تنتقل إلى دماغه.

أما المرحلة الثالثة: فهي التي يقوم فيها السامع بحل رموز تلك الرسالة الصوتية والتوصل إلى تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي، ويستخلص منها المعنى الذي يقصده المتكلم في ذهنه.

و تناول "كانز" التواصل اللغوي: أن التواصل اللغوي يفرضي بتقريب المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات و هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، و يتم التواصل عندما يرسل المتكلم رسالة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية الذي يستعملها المستمع لكي يلتقطها، و يتم إرسال هذه الرسالة على شكل تمثيل صوتي للكلام بواسطة تنظيم قواعد لغوية يمتلكه المتكلم، و هذا الإرسال يصبح إشارة لأعضاء المتكلم النطقية بوظائف الأعضاء الفيزيولوجية، فينطق المتكلم الكلام المنطوق تلتقطه أعضاء المستمع السمعية، فتتحول حينئذ أصوات الكلام التي تثير هذه الأعضاء إلى إشارة عصبية نحصل من خلالها على تمثيل صوتي يعادل التمثيل الصوتي الذي أرسل المتكلم رسالة.

يصفر الإرسال ببعث أصوات المتكلم إزاء تبليغ رسالة صوتية تصطم بأذن المتلقي محاولاً إدراكها واستيعابها، وتلك الرسالة التي يتم إرسالها ما هي إلا مثير يؤثر في نفس المتلقي، وبعد فك رموزها اللغوية يستجيب لهذا الحافز بتمثيل صوتي مجيب يتساوى به مع المتكلم في حالة نقاش وحوار صوتي كان أو كتابي، شفهي، وحتى يكون التواصل إيجابياً يقرب المعنى إلى الأذهان ووجب استعمال لغة واحدة واستخدام الطرفين قواعد لغوية.

تصحب عملية التواصل عدة عوامل:

1. منها النفسية: التي تتعلق بنفسية المتكلم والحافز الذي يدفعه إلى تبليغ الرسالة أو المرسل اللغوية.
 2. فيزيولوجية: تكمن في نقل المتكلم المرسل الكامنة في ذهنه من العمليات المجردة إلى العمليات الفيزيولوجية بواسطة أعضاء النطق.
 3. فيزيائية: تتمثل في تسرب الموجات الصوتية عبر الهواء إلى أذن السامع.
- ومما يراه دي سوسير أننا لو كنا قادرين على جمع جميع الصور الشفوية المختزنة لدى كل الأفراد الناطقين بلغة معينة ربما تمكنا من لمس الرابط الاجتماعي الذي يشكل اللغة، مردفاً أنها كنز يدخره الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة واحدة عبر ممارسة الكلام و هي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ.⁸
- وعلى هذا الأساس، فإن اللغة بنية وتنظيم أي بناء من العناصر اللغوية المتفاعلة في ديناميكية تامة، مجموعة من العناصر محسوسة ومجردة منظمة فيما بينها متكاملة بالائتلاف وانسجام وأمرها وسير تراكيبها. أما بالنسبة للغة على أنها تنظيم أي تنظيم من الإشارات المتباينة نفسية واجتماعية. كلمة تنظيم تعني مجموعة من القواعد التي تتحدد ضمن اللغة باستعمال الأصوات والصيغ وأساليب التعبير النحوية والمعجمية.
- إن اللغة ما هي إلا بناء من المعاني المحسوسة المجردة ينطقها المتحدث بلسان لغته بوظائف فيزيولوجية متبعا نظام تقاس عليه اللغة في قالب لغوي ينضوي على قواعد نحوية صرفية ثابتة تحدد مصداقية الكلام المنطوق مع إتباع تراكيب صحيحة في نسق دال.
- إن ابن خلدون يدور في حلقة ابن حسن عند تحديده لماهية اللغة، أما ابن حزم فيقول إنها جسر الإنسانية إلى كل القيم المجردة والتصورات الذهنية، الأفكار، وهذا واقعا تأكيد لوظيفة اللغة الاجتماعية دون الفصل في حدودها، و تعد واسطة العقد و أداة تواصل بين الأفكار الصادرة عن الفكر و الأصوات التي تسرب في الهواء بفضل أعضاء فيزيولوجية، تشكل في النهاية لغة.
- لا نستطيع أن ننطق ونلتفظ بما لا قدرة لنا على التفكير به ولا يمكننا أن نتكلم دون فكرة أو تصور مسبق لحادثة ما. القيم المجردة تحول واقع مادي ولغة متعارف عليها للتواصل مع الآخرين بأصوات دالة على ألفاظها موحية بمعانيها.
- يؤكد دي سوسير على أن اللغة " نتاج اجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة "، و أردف صفات متميزة لهذه المنظومة (اللغة) قائلاً أنها:
- نظام مؤلف من مجموعة من الرموز تعكس أفكار معينة الجانب الاجتماعي من الكلام الخارج عن نطاق الفرد، وهي لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد بين أعضاء مجموعة البشرية الواحدة.
 - نظام من الدلائل ليس فيه من جوهرى سوى اقتران المعنى والصورة الأكوستيكية، فهي شيء معين ذو حدود ضمن مجموعة ظواهر الكلام المتنافرة، لا وجود للكيان اللغوي إلا بفضل اقتران الدال بالمدلول، فهي مجموع الكلام الفردي تخضع لقواعد تحكمها سير نظام التراكيب.
- يقول ابن في هذا السياق حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وفي هذا التصريح تأكيد على شمولية وعمومية اللغة لا خصوصيتها وانفرادها، إضافة إلى اجتماعيتها ووظائفها التعبيرية ومكوناتها الصوتية.
- ويخص ابن خلدون اللغة بالقول: هي عبارة المتكلم عن مقصوده واللغة ملكة اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، يخص بذلك أن اللغة ما هي إلا كلام يتلفظ به المتكلم لتبليغ مقاصده وأغراضه، تتباين اللغة على حسب اصطلاح قومها.⁹
- 1-3-التواصل اللغوي عند رومان جاكسون

يعد رومان جاكسون Roman Jackson واضع هذا النموذج اللساني سنة 1969، معبرا أن اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل، و ارتأى إلى أن اللغة بعد وظيفي يتمثل في ست عناصر و ست وظائف: المرسل وظيفته انفعالية تعبيرية، الرسالة وظيفتها جمالية شعرية أو إنشائية من خلال إسقاط محور الاستبدال على محور التراكيب، و المرسل إليه وظيفته تأثيرية انتباهية، و القناة وظيفتها الاتصال، السياق أو المرجع وظيفته المرجعية أو الموضوعية (الإخبارية)، اللغة أو السنن (القانون) وظيفتها لغوية أو وصفية لقواعد اللغة المشتركة التي يتحدث بها باث و متلقي، مرسل لغوية أي الشفرة المستعملة للتواصل، اللغة المستهدفة التي تحقق الهدف المنشود.

الوظيفة: كما حددتها اللسانيات هي الدور الذي يلعبه العنصر اللغوي في البنية النحوية، فكل عنصر من عناصر الجملة يعد مساهما في تحديد معناها الشمولي، ثم أن اللغة في تركيبها تعد نسقا وظيفيا إذ إن كل مكون من مكونات بنيتها يهدف إلى تحقيق محدد في قصد المرسل في التواصل بصيغة ما. و هكذا كلما استهدفنا التواصل الكلامي، استحوذنا على مجموعة متنوعة من الوظائف اللغوية، و نظرا لكون هذه الوظائف تحتل ركنا كيانيا في بنية اللغة، نادت حلقة براغ اللسانية بضرورة دراسة اللغة بوصفها نسقا وظيفيا *Systeme fonction*، و ما دام جاكسون يعد من المؤسسين لتلك الحلقة فقد نادى بضرورة دراسة اللغة في تحديد أنواع وظائفها، فالتجأ إلى اكتناه وظائف المرسل الكلامية و أخضعها لتفريج سداسي، أصبحت كل وظيفة تشكل علاقة مع عامل من عوامل التواصل الست.

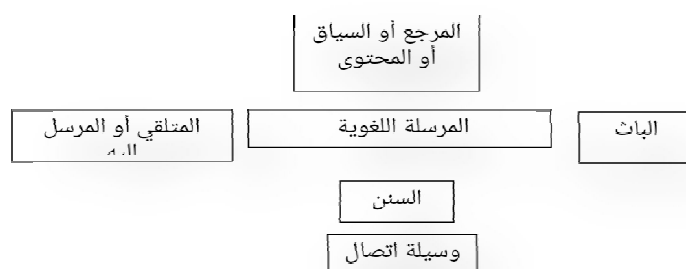
تعد الوظيفة حلقة وصل تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض، تنجم عن ائتلاف مكونات الجملة في بنية نحوية وانتظام سير التراكيب في نظام معاني النحو يسهم في تقريب الفكرة إلى الأذهان بفضل تركيب سليم في مبناه دال على نسق في معناه.

تناول جاكسون في دراسته محورين الواحد منها يستدعي الآخر:

1-محور تحديد نظرية التواصل

2-محور تحديد وظائف اللغة عند جاكسون.

إن نظرية التواصل الكلامي مبنية بواسطة الخطاطة التالية:



يتبين لنا من خلال المخطط اللساني أن التواصل الكلامي يستدعي ستة عوامل، ذلك أن: المرسل يرسل مرسل لغوية إلى المرسل إليه تكون مؤثرة فيه تقتضي سياقاً مرجعياً تحيل عليه بسنن (code) لغة مشتركة بين المرسل والمرسل إليه، وأخيراً تقتضي المرسل وسيلة اتصال وقناة فيزيائية (Canal physique) بالصوت أو الكتابة لنتمكن من تثبيت الاتصال مباشرة (راديو، تلفزيون).

إن هذه العوامل الستة: مرسل، مرسل، وسيلة الاتصال، المرسل إليه، السياق أو المرجع، سنن، تحتل ركنا كيانيا مهما في بناء الاتصال الكلامي. إذاً كل عنصر منها يكمل الآخر، يعد العامل الأول اللبنة الأولى في توصيل الفكرة أو المرسل اللغوية إلى العناصر اللسانية الست الأخرى، بيد أنه لا بد من التنبيه إلى أن كل عامل من العوامل يولد وظيفة لسانية مختلفة.

ومن خلال هذا المحور نستنتج أن كل وظيفة ترتبط بعامل من عوامل التواصل الكلامي.

- 1- الوظيفة التعبيرية الانفعالية *Fonction expressive ou émotive* تتمركز حول مرسل المرسل الكلامية.
 - 2- الوظيفة التأثيرية والانتباهية، الندائية *fonction réflexible attentive* تتمركز حول المرسل إليه أي ملقط المرسل.
 - 3- الوظيفة الشعرية *fonction poétique* تتمركز حول المرسل.
 - 4- الوظيفة المرجعية *fonction référentielle* تتمركز حول المرجع أو السياق.
 - 5- الوظيفة الاتصالية *fonction communicative* تتمركز حول القناة الفيزيائية لوسيلة الاتصال.
 - 6- الوظيفة الميتالسانية *fonction métalinguistique* تتمركز حول السنن (code).
- ولقد مثل جاكسون هاته الوظائف اللغوية بواسطة الخطاطة التالية:



ولتوضيح مفاهيم جاكسون أكثر، نعود إلى المجال التربوي و الأديتاكنتيكي للتمثيل والشرح: ذكرنا أنفاً من وظائف التواصل لدى رومان جاكسون: الوظيفة التعبيرية الانفعالية: تشير هذه الوظيفة بتعبير مباشر إلى موقف المرسل، فهي تهدف إلى تحديد انطباعات حقيقية من خلال انفعالاته وتعابيره ومواقفه.

يوضح جاكسون أن الطبقة الانفعالية *couche émotive* الخالصة في اللغة تكون ممثلة بواسطة الصيغ التعصبية، وهذه الصيغ تبتعد عن اللغة الإرجاعية بواسطة التشكيل الصوتي من جهة وبواسطة دورها التركيبي من جهة أخرى. ويمكن القول أن كل دليل *signe* يكشف عن شخصية المرسل يعدّ متعلقاً بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية. يعبر الباث عما يختزن في ذهنه ونفسه من كينونات ومكبوتات بصيغ تعبيرية انفعالية تنقل المعاني المجردة الذهنية من تصورات معنوية إلى معاني محسوسة مادية أي واقع لغوي. فاللغة كيان مجرد يصدق على الفكر أيضاً، فهي مجموعة من القيم المجردة فارغة من المعنى، كتلة لا شكل لها و لا لون، فالفكرة موجودة ضمناً في عقل المتكلم ما لم يعبر عنها بكلمات و أصوات فتصبح اللغة كيان مجهول الهوية، فاللغة هي التي تجعل من الفكر كياناً واقعياً موجوداً و مدركاً، كون الفكرة إذا لم يُعبر عنها هي كيان مَيّت عندما تفترض العلاقة بين المرسل و المرسل إليه (المتلقي)، لكن قد يكون للفكرة وجود ضمني يعيها صاحبها دون أن يعبر عنها بالصوت أو الكتابة و إنما بإيماءات و إشارات كما يفعلها الصم البكم، و لا يمكن للصوت أن يكون خالياً مجرداً من المعنى الذي يتضمنه فقيمة الصوت آتية من الفكرة.

1- الوظيفة التأثيرية الانتباهية *fonction réflexible attentive*:

تنصب على المتلقي، ويهدف المرسل من ورائها إلى التأثير على المواقف أو سلوكات وأفكار المرسل إليه، لذلك يستعمل المدرّس أي المرسل لغة الترغيب والترهيب والترشيد من أجل تغيير سلوك المتعلم وجعله ينتبه لما يبلغ له المرسل من مرسل كلامية. تستحضر هذه الوظيفة العلامات التي ترتبط بالمرسل إليه ويتجسد ذلك بجلاء بواسطة توظيف:

1. ضمائر الخطاب

2. الصيغ الأمرية

3. الصيغ الندائية بالإضافة إلى صيغ الدعاء والإرشاد.

إذ أن الخطبة تستهدف التأثير في الآخر، أي في المرسل إليه وما دامت تستهدف ذلك فإنها الوظيفة المرتبطة بالمُخاطَب.

2- الوظيفة الاتصالية: **fonction communicative**

تستهدف المرسل الكلامية من خلال هذه الوظيفة تثبيت التواصل و تمديده وتأمين استمراره بين المرسل و المرسل إليه، و تبيّن أن هذه الوظيفة تستهدف أيضا تبيان مدى قدرة المرسل إليه على استيعاب مرسل المرسل. يرى جاكسون أن وظيفة الاتصال هي أول وظيفة يكتسبها الأطفال من العالم الخارجي نتيجة الأثر الذي يتركه عالم المحسوسات في ذهن المتلقي أثناء إدراكه للمرسل الكلامية، وهكذا يتم التواصل بين الطرفين عندما يستوعب المرسل إليه أو المتلقي الفكرة التي أراد المرسل تبليغها. هي وظيفة إفهامية كأن يستعمل المدرس أو المرسل خطابا شبه لغوي أو لغوي أو حركي من أجل التواصل مع الآخر أو الطلبة وذلك باستعمال بعض التراكيب التعبيرية التالية: (أرجوكم أن تنتبهوا إلى الدرس)، (أنظروا هل فهمتم؟).

يجب على الباحث أن يتقيد بتقنيات أثناء التركيب والصياغة وتتمثل في العمليات التالية:

- اختيار الألفاظ المتداولة.
- تجنب التعقيد.
- تجنب الاستطراد المستكره.
- تجنب الإطناب المستكره.
- تجنب الرجوع المخل بالمعنى.

وتتجلى وظيفة التنبية في كل أشكال الإيصال: الشعائر، الاحتفالات الرسمية، الكلام، الخطابات... الخ.

4- الوظيفة الشعرية:

إن الهدف من عملية التواصل هو البحث عما يجعل من الرسالة رسالة شعرية أو جمالية، و ذلك بالبحث عن الخصائص الشعرية و المؤثرة بألفاظ معبرة و اعية دالة بأساليب إنشائية صادقة لصياغة تراكيب.

5- الوظيفة المرجعية:

يلتجئ المدرس هنا إلى الواقع أو المرجع لينقل للتلميذ معلومات أو أخبار تحيل على الواقع، تشتمل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل، ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله.

إن الوظيفة المشار إليها لا توجد إلا في إطار علاقتها بمرجع معين أي الواقع الذي يتناول الحديث أو المرسل اللغوية بغض النظر عن الانفعالات الشخصية الناجمة عن الباحث.

نلقى هذه الوظيفة في الروايات الواقعية والمقالات السياسية والاجتماعية... الخ.

ويمكننا أن نشير إلى نموذجين للمرسل ذات الوظيفة المرجعية:

1. النبأ **L'information**: يتجسد بجلاء في النشرة الصحفية، النبأ الإداري أو المالي... الخ. ويخضع لقاعدة ثلاثية: الوضوح، الاقتضابية **l'aconisme**، الكثافة **densité** أكثر عدد من الأخبار في أقل عدد من الكلمات.

2. التقرير **Le compte rendu**: يتمثل في المرسلات التي ترصد مجريات الاجتماعات الإدارية والمالية والرياضية والتربوية... الخ.

6- الوظيفة الميتالسانية: **fonction métalinguistique**:

يركز المدرس عبر هذه الوظيفة على شرح المصطلحات والمفاهيم الصعبة والشفرة المستعملة مثل: شرح قواعد اللغة والكلمات الغامضة الموجودة في النص.

يرى جاكسون أن علم المنطق المعاصر يهدف إلى إدراك مستويين للغة:

1. مستوى اللغة الموضوع **langage objet**: تتحدث فيه اللغة عن الموضوع.

2. مستوى الميتالغاة **métalangage**: تتحدث فيه اللغة عن ذاتها وتسمى هذه الوظيفة وظيفة التفسير، وبواسطة الميتالسانية يتوصل الطفل إلى اكتساب اللغة.

مثلا جاكسون يجدد الحبسة **l'aphasie** بفقدان قابلية تحديد الإجراءات الميتالسانية، تعد الجسة من أمراض الكلام التي يتعذر بموجبها النطق السليم للغة، مما يفضي بصعوبة التواصل وفهم المتحدث المصاب بهذا المرض مع الآخر، ومن هنا تكمن الوظيفة الميتالغوية في محاولة تفسير وتوضيح اللغة الغامضة للمصاب.

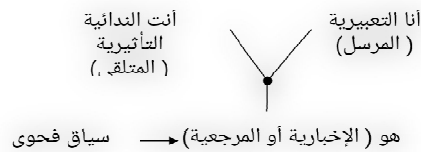
ولتتم عملية التواصل بين الباث والمتلقي، فإنه لا بد من ترابط دلالي يوافق ترابطاً صوتياً يوافق تواضعاً بينهما:

يمكننا توضيح عملية التواصل بين باث ومتلقي في المخطط التالي:⁸

الارتباط الدلالي المتبادل (المدلول)	
(التواصل المعنوي)	
الإرسال (المرسل)	الالتقاط (المتلقي)
الارتباط الصوتي المتبادل (الدال)	
(التواصل اللغوي)	
مرسل	متلقي
التواضع اللغوي المشترك (العلامة اللسانية)	

يتواصل المرسل والمتلقي في إدراك وفهم فحوى الرسالة من خلال تنظيم قواعد و رموز لغوية في لغة واحدة مشتركة، و هكذا يتم التواصل في العلامة اللسانية لفظية كانت أو غير لفظية، حيث إنه لا يكون إلا إذا كان كلا من الباث و المتلقي يملكان نفس اللغة أو السنن "رموز اللغة" فك شفرة المرسل اللغوي.

في مجال تحليل النصوص تعد الوظائف الثلاث: التعبيرية، الندائية أو التأثيرية، التحريضية و الإخبارية من أبرز ما يعتمد في إدراك لعبة الضمائر و التعامل مع حوار الشخص و تبادلهم المرسلات:⁹



تأثر رومان جاكسون بأعمال دو وسير في الخطاطة الثلاثية التي وضعها لتوضيح عملية التواصل محاولاً إضفاء صبغة لسانية كاشفاً عن فحواها بوظائف لغوية أخرى كامنّة في ثنايا المرسلّة، فاللغة الطبيعية بهذا المفهوم، نظام مجرد ذو طبيعة صوتية، يتحقق في أوساط متعددة، منها الوسط الصوتي الفيزيائي وآخر الوسط النيويولوجي الذي تتم فيه المعالجة الآلية للرموز والمدخلات الصوتية وصولاً إلى مخرجات تترجم ما تم تشفيره.

الهوامش:

1. ينظر: أحمد بن محمد أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تعليق: محمد بن عبد المعطي، دار الكيان: الرياض، دط، دت، ص: 79.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص81.
3. ينظر: Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of Language and Linguistics, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, Routledge, London and New York, 1st ed, 1998, p206.
4. ينظر: D.H. Mellor, Ways of communicating, Cambridge University Press, 1990, p04.
5. جون لاينز، مدخل إلى اللغة واللسانيات، ترجمة البابين الأول والثاني: حمزة بن قبلان بن أحمد المزيني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود: المملكة العربية السعودية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، 1407هـ، ص30.
6. ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2003، ص41.
7. ينظر: Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of Language and Linguistics, op.cit, p 206.
8. ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ص 25.
9. ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء، عمان، ط1، 2002، ص 32.
10. ينظر: د. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ط1، 2003، درا الهومة، الجزائر، ص 40.
11. ينظر: المرجع نفسه، ص 88.